610389 ـ ما سبب وصف أهل الجنة بالغنى، وهم ليسوا في حاجة إلى البيع والشراء؟

السؤال

قرأت أحاديث كثيرة عن أهل الجنة أنهم يكونون أغنياء جميعهم، ولديهم أموال، وأن آخر من يدخلها لديه مثل عشر ملوك الدنيا...الخ.

السؤال:

ما فائدة الغنى، وكل تلك الأموال وليس هناك بيع وشراء ومعاملات بين أهل الجنة، والكل غني؟

ملخص الإجابة

أهل الجنة لم يرد أنه يكون لهم أموال ونقود في الجنة؛ بل هم في نعيم كامل ينالون فيه ما تشتهيه أنفسهم من غير بيع ولا شراء.

الإجابة المفصلة

الحمد لله.

أولا:

لم نقف على نص من نصوص الوحي يصف أهل الجنة بأنهم أغنياء أو بأن لهم أموالا؛ وإنما وصفت نصوص الوحي أهل الجنة بالنعيم المقيم؛ وأنهم ينالون ما تشتهيه الأنفس من النعيم.

كما في قول الله تعالى:

الَّذِينَ آمَنُوا بِآيَاتِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ * ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ * يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ * وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ الزخرف (69 ـ 72).

والذهب وما يشبهه هو في الجنة للزينة والحلية والنعيم، وليس عملةً ولا مالا، كما في الآية السابقة.

وكما في قول الله تعالى:

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ الحج (23).

ثانيا:

وأما ما ورد في وصف حال آخر من يدخل الجنة بأنه سيكون له من المُلْك مثل مُلْكِ مَلِكٍ من ملوك الدنيا وأكثر بأضعاف، كما في الحديث الذي رواه الإمام مسلم (189): عَنِ الْمُغِيرَةِ بْنِ شُعْبَةَ، يَرْفَعُهُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: (سَأَلَ مُوسَى رَبَّهُ، مَا أَدْنَى أَهْلِ الْجَنَّةِ مَنْزِلَةً؟ قَالَ: هُوَ رَجُلٌ يَجِيءُ بَعْدَ مَا أُدْخِلَ أَهْلُ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ لَهُ: ادْخُلِ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ: أَيْ رَبِّ! كَيْفَ؟ وَقَدْ نَزَلَ النَّاسُ مَنَازِلَهُمْ، وَأَخَذُوا أَخَذَاتِهِمْ، فَيُقَالُ لَهُ: أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا؟ فَيَقُولُ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: لَكَ ذَلِكَ، وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ وَمِثْلُهُ، فَقَالَ فِي الْخَامِسَةِ: رَضِيتُ، رَبِّ! فَيَقُولُ: هَذَا لَكَ وَعَشَرَةُ أَمْثَالِهِ ...).

فقوله: (أَتَرْضَى أَنْ يَكُونَ لَكَ مِثْلُ مُلْكِ مَلِكٍ مِنْ مُلُوكِ الدُّنْيَا)= أي في السعة، وليس في الكيفية؛ وإلا؛ فنعيم الجنة لا شبه له في نعيم ملوك الدنيا، كما يبيّن هذا بوضوح حديث عَبْدِ اللَّهِ بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: (إِنِّي لَأَعْلَمُ آخِرَ أَهْلِ النَّارِ خُرُوجًا مِنْهَا، وَآخِرَ أَهْلِ الجَنَّةِ دُخُولًا، رَجُلٌ يَخْرُجُ مِنَ النَّارِ حَبْوًا، فَيَقُولُ اللَّهُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا، فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَيَأْتِيهَا فَيُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهَا مَلْأَى، فَيَرْجِعُ فَيَقُولُ: يَا رَبِّ وَجَدْتُهَا مَلْأَى، فَيَقُولُ: اذْهَبْ فَادْخُلِ الجَنَّةَ، فَإِنَّ لَكَ مِثْلَ الدُّنْيَا وَعَشَرَةَ أَمْثَالِهَا ـ أَوْ: إِنَّ لَكَ مِثْلَ عَشَرَةِ أَمْثَالِ الدُّنْيَا ـ فَيَقُولُ: تَسْخَرُ مِنِّي ـ أَوْ: تَضْحَكُ مِنِّي ـ وَأَنْتَ المَلِكُ.

فَلَقَدْ رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ضَحِكَ حَتَّى بَدَتْ نَوَاجِذُهُ، وَكَانَ يَقُولُ: ذَاكَ أَدْنَى أَهْلِ الجَنَّةِ مَنْزِلَةً) رواه البخاري (6571) ومسلم (186).

فالرجل ظن أن الجنة مَلْأَى لم يبق له فيها مكان؛ فأخبره الله تعالى أنه سيعطيه مكانا في الجنة مثل سعة مُلْك مَلِك من ملوك الدنيا وأضعافه أي في السعة.

قال الكرماني، رحمه الله تعالى:

"هذا تمثيل، وإثبات السعَة على قدر فهمنا" انتهى. "الكواكب الدراري" (23 /59).

ثالثا:

ورد في السنة أن في الجنة أسواقا؛ لكن ليس المراد بهذه السوق: أنها مكان للبيع والشراء؛ وإنما هي أماكن اجتماع أهل الجنة كاجتماعهم في الدنيا في الجمعة.

فقد روى الإمام مسلم (2833): عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، أَنَّ رَسُولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: (إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَسُوقًا يَأْتُونَهَا كُلَّ جُمُعَةٍ، فَتَهُبُّ رِيحُ الشَّمَالِ فَتَحْثُو فِي وُجُوهِهِمْ وَثِيَابِهِمْ فَيَزْدَادُونَ حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَرْجِعُونَ إِلَى أَهْلِيهِمْ وَقَدِ ازْدَادُوا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُوهُمْ: وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا، فَيَقُولُونَ: وَأَنْتُمْ وَاللهِ لَقَدِ ازْدَدْتُمْ بَعْدَنَا حُسْنًا وَجَمَالًا).

قال ابن هبيرة رحمه الله تعالى:

"في هذا الحديث ما يدلّ على أنّ نعيم الجنّة لا يزال أبدا في الزّيادة، وهذه السّوق الّتي ذُكرت فيها: فهي من ذلك؛ لأنّها زيادة على نعيمهم، وليست بسوق بيع ولا شراء.

وإنما جعلت سوقا من حيث إنّ السّوق موضوع للمرابحة، فهؤلاء يربحون فيها، ويعودون وقد ربحوا من بيوتهم أيضا ذلك الحسن في الزوجات" انتهى. "الإفصاح" (5 / 388 ـ 389).

وقال القرطبي رحمه الله تعالى:

"فيحتمل أن يكون سوق الجنّة عبارة عن مجتمع أهل الجنّة، ومحلّ تزاورهم، وسمّي سوقا بالمعنى الأوّل، ويؤيّد هذا أنّ أهل الجنّة لا يفقدون شيئا حتّى يحتاجوا إلى شرائه من السّوق ... وخصّ يوم الجمعة بذلك لفضيلته، ولما خصّه الله تعالى به من الأمور الّتي تقدّم ذكرها، ولأنّه يوم المزيد؛ أي اليوم الذي يوفى لهم ما وعدوا به من الزّيادة" انتهى. "المفهم" (7 / 178).

والله أعلم.